الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فان
الله لم يضع داء الا وضع له شفاء الا داء واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام وهو بمهملة
مخففا الموت يعني الاداء الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثني
الهرم في الرواية الاولى اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او
لقربه من الموت وافضايه اليه ويحتمل ان يكون منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دوا
له ولابي داود عن الدرداء رفعه ان الله جعل لكل داء دوا فتداووا ولا تداووا بحرام وفي
البخاري ان الله تعالى لم يجعل شفاكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوي بالحرام وروى
مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دوا فاذا اصيب دوا الدا برئ باذن الله تعالى وذلك ان
الدوا قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية او الكمية فلا ينجع بل ربما احدث داء
اخر وفي رواية علي عند الحميدي في كتابه المسمى بطب اهل البيت ما من داء الا وله
دوا فاذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله بين الدا والدوا فكلما
شرب المريض من الدوا لم يقع على الدا فاذا اراد الله برءه امر الملك فرفع الستر
ثم يشرب المريض الدوا فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود رفعه
ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابو نعيم وغيره
وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله لكل داء دوا فيجوز ان يكون
على عمومه حتى يتناول الادوا القاتلة والادوا التي لا يمكن طبيب معرفتها ويكون
الله قد جعل لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليه سبيلا
لانه لا علم للخلق الا ما علمهم الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفا على مصادفة
الدوا للدا وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من دايه بدوا فيبرا ثم يعتريه
بعد ذلك الدا بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات
الدوا فرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي
ليس مركبا فيقع الخطا من هنا وقد يكون متحدا لكن يريد الله ان لا ينجع وهنا
تخضع رقاب الاطبا وفي مجموع ما ذكرناه من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب
وان ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك
تجنب المهلكات والدعا بطلب الشفا ودفع المضار وغير ذلك وقد سيل الحارث
ابن اسد المحاسبي في كتاب الفصد من تاليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له
من اين ذلك قال من وجود ذلك عند سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق
ولا سبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم فقيل له فما تقول
في خبر النبي صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى بري من التوكل قال يري
من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث اخر فقال يدخل الجنة من امتي
سبعون الفا بغير حساب واما سواهم من المتوكلين فمباح لهم الدوا والاسترقا فجعل

المحاسبي

٣٣٥

المحاسبي التوكل بعضه افضل من بعض وقال في التمهيد انما اراد بقوله بري من
التوكل اذا استرقى الرقا المكروهة في الشريعة او اكتوى وهو متعلق رغبته في
الشفا بوجود الكي وكذلك قولها لا يسترقون الرقا المخالفة للشريعة ولا يكتوون
وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومعرضة عن فعل الله تعالى وان الشفا من عنده واما
اذا فعل ذلك على ما جاء في الشريعة وكان ناظرا الى رب الدوا ومتوقعا الشفا من
الله تعالى وقصد بذلك استصلاح بدنه اذا صح لله واتعاب نفسه وكدها في
خدمة ربه فتوكله باق بحاله لا ينقص منه الدوا شيا اسيد ولا يفعل سيد المتوكلين
اذ عمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى فقد تبين ان التداوي لا ينافي التوكل
بل لا يتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات
لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الامر
والحكمة وحكى ابن القيم انه ورد في خبر اسرايلي ان الخليل عليه السلام قال يا رب ممن
الدا قال مني قال فممن الدوا قال مني قال فما بال الطبيب قال رجل
ارسل الدوا على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دوا تقوية لنفس المريض و
الطبيب وحث على طلب ذلك الدوا والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه
ان لدايه دوا يزيله تعلق قلبه بروح الرجا وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية
وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه
الارواح قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى فان قلت
ما المراد بالانزال في قوله في الاحاديث السابقة الا انزل له دوا وفي الرواية الاخرى شفا
فالجواب انه يحتمل ان يكون عبر بالانزال عن التقدير ويحتمل ان يكون المراد انزال علم
ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم وان يقع طب حذاق الاطبا الذي غايته
ان يكون ماخوذا من قياس او منامات وحدس وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى
الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطبا من الطب
الى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم الى ما جا به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من
الادوية التي تشفي من الامراض ما لم يهتد اليها عقول اكابر الاطبا ولم تصل اليها علومهم
وتجربتهم واقيستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله
تعالى والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلاة والدعا والتوبة
والاستغفار والاحسان الى الخلق والتفريج عن المكروب فان هذه الادوية قد جربتها
الامم على اختلاف ادياناها ومللها فوجدوا لها من التاثير في الشفا ما لم يصل اليه علم اعلم الاطبا
وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته يفعل ما لا تفعله الادوية الحسية وكان
علاجه صلى الله عليه وسلم للمريض على ثلاثة انواع احدها بالادوية الالهية الروحانية
والثانية بالادوية الطبيعية والثالثة بالمركب من الامرين ولا ريب ان طب النبي صلى

وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجا